



بعد ثلاثة أيام تُم الانتفاضة الشعبية في سوريا عشرة أسابيع من عمرها، وهذه هي الرسالة العشرون التي أكتبها موأكبة لها، سوف أبدأها بإذن الله، فأقول إنني لن أسجل أسماء المدن الثائرة والمنتفضة بعد اليوم. ليس إنكاراً لفضلها وفضل أهلها الأبطال، وإنما هو يأس واستسلام، فإن قائمة هذه المدن والقرى ما زالت تتسع أسبوعاً بعد أسبوع وأنا ألاحقها بجهد متزايد، حتى باتت اليوم عصيّة على الحصر! من هنا قررت الاستسلام والتوقف عن عدّها واستقصائها.

وهذه هي الراية البيضاء الثانية التي أرفعها استسلاماً منذ بداية الثورة، فقد عُلقت في أيامها الأولى خريطة كبيرة لسوريا ورحت أتابع عليها -بالدبابيس الملونة- انتشارها الجغرافي. في أول جمعة، جمعة الكرامة، لم أواجه صعوبة تذكر، فقد كانت الدبابيس خمسة لا غير (دمشق وحلب وحمص ودرعا وباقياس). في الأسابيع التالية بدأت الدبابيس تكثر وتتقارب، فلما استنفدتُ العلبة كلها (أي خمسين دبوساً) قررت التوقف، فقد ازدحمت الخريطة حتى صرت أعثر في بعض الأحيان ببالغ الصعوبة على موضع أغرز فيه دبوساً جديداً.

إذن استمتعوا بتأمل انتشار الثورة في جمعة الحرية (آزادي)، ولا تطلبوا مني تغطية بهذا التفصيل بعد اليوم، لأن الثورة عمّت -بحمد الله- سوريا كلها، من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، وانتشرت في حاضرها وريفيها ويدوها وفي مدنها وبلداتها وقرها، وشارك فيها العرب مع الكرد والآشوري والتركمان، والمسلمون والمسيحيون والإسماعيلية والدروز، حتى العلويون (الذين نجح النظام في صفهم وراءه وربط مصائر أكثرهم بمصيره) خرج منهم مئات يوم أمس في قريتين من قرى حمص.

سميت هذه الرسالة "انفجار الكبير" لأن جمعة الحرية (آزادي) شهدت حجماً غير مسبوق في الانتفاضة، من حيث الاتساع الجغرافي ومن حيث جموع المشاركين. وقد حاولت أن أقدر أعداد المتظاهرين أمس اعتماداً على الأخبار المتفرقة والمقطوع المصورة، ووصلت إلى تقدير بحدود ثلثة مليون، وهو تقدير غير دقيق لكنه ليس بعيداً عن الحقيقة -بإذن الله-. فيما يلي قائمة بالواقع التي كانت مشتعلة في جمعة الحرية، وهي مئة وثمانون، ولو حذفنا الأحياء في المدن الكبيرة (دمشق وحلب وحمص)، واقتصرنا على المدن والقرى فهي مئة وأربعون. لكن من المؤكد أن العدد أكبر من ذلك بكثير، فقد صار نهجاً مطرياً أن تجتمع القرى الصغيرة في القرى الأكبر أو البلدات والمدن المجاورة، ولا شك أنكم شاهدتم كثيراً من

المقاطع المصورة التي تبدو فيها شلالاتٌ من المتظاهرين ينتقلون على الطرق الفرعية للأرياف من قرية إلى قرية ومن جهة إلى أخرى، وغالباً لا تهتم التقاريرُ الواردة من تلك الأنهاء بذكر أسماء القرى كلها، وفي الحقيقة فإننا في كثير من الأحيان لا نعرف بمشاركة بعض القرى إلا عندما نقرأ أسماء شهدائها. وإليكم التفصيل:

دمشق وضواحيها: باب سريجة، قبر عاتكة، الفحامة، الأطفالية (شارع خالد بن الوليد)، الميدان (مظاهرتان)، الظاهرة، ركن الدين، القابون، بربة، قدسياً (ثلاث مظاهرات)، المعضمية، نهر عيشة، الحجر الأسود، القدم، السيدة زينب.

ريف دمشق: بربة البلد، داريا، جديدة عرطوز، قطنا، التل، دوما، حرستا، سقبا، زملكا، عربين، حمورية، كفرطنا، الضمير، جيرود، الكسوة، كنكاير، مضايا، الزبداني.

حلب: سيف الدولة، صلاح الدين، الفاخور، الشعار، العزيزية، الفرقان، شارع السبيل، شارع النيل.
ريف حلب: الباب، منبج، دارة عزة، عفرين، إعزاز، مارع، كالي.

حمص: بابا عمرو، الإنشاءات، القرابيص، الوعر، البياضة، الصالبة، باب السبع، باب هود، باب الدريب، الخالدية، الغوطة، كرم الشامي، دير بعلبة، العدوية، القصور، حي الخضر.

قرى حمص: تلدو، كفرلاها، تلذهب، الطيبة، طلف، عقرب، مريمين (قرية علوية): تجمع أكثر هذه القرى في تلدو. تلبيسة، تيرمعلة، الفرحانية، الغنطو، جبورين (قرية علوية)، أم شرشوح (قرية مسيحية): تجمعت هذه القرى في تلبيسة. القصرين.

حماة وقرهاها: حماة، السلمية، طيبة الإمام، حلفايا، صوران، التريمسة، قلعة المضيق.

إدلب وجوارها: إدلب، الرستن، جسر الشغور، أريحا، سرمين، بنش، جرجناز، النيرب، طعوم، تفتناز، سراقب، سلقين، المسطومة، إحسن، معرب مصرین، المغاربة، كنصفرا، مرعيان.

معرب النعمان وقرهاها: المعرب، خان شيخون، جبل الزاوية، كفرنبل، حاس، سقلا، كفررومة، جرجناز، الغدفة، معرب شمشة، كفرعويد، تلمنس، الباردة، محمبل، بلين.

منطقة الفرات: البوكمال، دير الزور (عدة مظاهرات)، الميادين، القورية، الشحيل، الجبيلة، موسى، البوليل، الطيانة، مكان، هجين، العشار، صبيخان، أم حمام.

الشمال الشرقي: القامشلي، الحسكة، عامودا، الدرباسية، رأس العين، عين العرب (كوباني)، الطبقة.
الساحل: اللاذقية (عدة مظاهرات)، بانياس (مظاهرتان)، جبلة، طرطوس.

حوران والسويداء: درعا (وردت أنباء عن عشرات من المظاهرات الصغيرة المتفرقة في درعا المحطة ودرعا البلد)، السويداء، شهبا، جاسم، إنخل، داعل، الحراك، الصنمين، شيخ مسكنين، غياغب، الحارة، خربة غزالة، الكتبية، إبطع، طفس، الميسفورة، السهوة، الكرك، أم ولد، الغريaya، كحيل، صيدا، المتابعة، نصيّب، كفر شمس، بصرى الشام، بصرى الحرير، النعيمة، الشجرة، سحيم، تسيل، ناحية.

وخرجت مظاهرات ليلية في دمشق: الميدان، القابون، المعضمية (نسائية)، داريا. وفي حوران: شيخ مسكنين، صيدا، ناحية، النعيمة. وخرجت أيضاً **مظاهرات ليلية في:** دوما، الزبداني، حمص، دير الزور، الرستن.

الشهداء:

تتراوح حصيلة شهداء جمعة آزادي بين ستين شهيداً ومئة شهيد، والسبب في هذا الاضطراب في التقديرات هو الغموض الذي أحاط بأخبار مجرزة المسطومة، وهذه هي التفاصيل:

شهداء حمص ودمشق وبقية المناطق باستثناء المجزرتين (31).

حمص (15)، بربة (4)، داريا (1)، حماة (3)، دير الزور (3)، اللاذقية (1)، إدلب (3)، بنش (1).

شهداء مجرزة معرب النعمان (25).

بدأ الآلاف من أهالي القرى المجاورة يتذمرون على المعركة من بعد صلاة الجمعة، وقبيل الخامسة عصراً فتحت قوات الأمن والمخاربات النار على جموع ضخمة من المتظاهرين بالقرب من مركز أمن الدولة داخل معرة النعمان، فسقط العشرات بين شهيد وجريح. عرف منهم حتى الآن شهداء من معرة النعمان (11)، كفرنبل (1)، حاس (1)، كفررومة (2)، معرشمسمة (1)، كفرعويد (1)، تلمنس (1)، بلين (2)، محمبل (1)، الغفة (2)، وهما شقيقان في الثالثة والعشرين والخامسة والعشرين، سراقب (1)، أريحا (1).

شهداء مجرزة المسطومة:

للأسف لم أستطع الحصول على معلومات دقيقة حول هذه المجازرة التي ورد خبرها في المساء من مصادر عدّة، لكن المصادر لم تتبعها بشكل واف ولم يذكر شهادتها في تقرير المنظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سوريا الذي أذيع صباح اليوم. وفي تفصيل الخبر أن جموعاً من المتظاهرين توجّهوا من جسر الشغور وأريحا وجبل الزاوية إلى إدلب، وحين عبروا بالقرب من معسّر الطلائع قرب قرية المسطومة خرج عليهم مئات من مليشيات الطلائع وفتحوا عليهم نيران الأسلحة الرشاشة فأصيّب واستشهد العشرات، ونُقل عن شهود أن المشفى الوطني ومشافي الرازي والنحاس والسلام في معرة النعمان استلمت خمسين شهيداً وأنها تغص بالجرحى. تقدّير محصلة الشهداء تراوحت بين ثلاثين وخمسين، ولكن لم يرد أيّ أكيد من أيّ جهة موثوقة، وهو أمر محير تماماً ويضطربنا إلى الشك في دقة التقديرات السابقة، أو إلى افتراض أنّ خبر هذه المجازرة هو رواية أخرى لمجزرة معرة النعمان (رغم أنه احتمال مستبعد نظراً لاختلاف المكان والظروف)! اليوم نُشرت أسماء خمسة من شهداء المجازرة، وهم من القرى التالية: بلين (1)، إحسن (1)، المغار (1)، كنصفرا (1)، مرعيان (1).

شهداء مجرزة صيدا:

وصلت في وقت متأخر أخبار مظاهرات صيدا الليلية واقتحام قوات الأمن والمليشيات للبلدة، حيث قامت بإطلاق النار بشكل عشوائي قبل الانسحاب، وكانت حصيلة ذلك الهجوم الهمجي - كما قيل - تسعة شهداء وواحداً وعشرين جريحاً. الخبر نشر في وقت متأخر من يوم الجمعة، بعد الثانية ليلاً بقليل، ولم يرد له أيّ تأكيد يوم السبت رغم إعلان أسماء شهيدين على الأقل، وهذا أيضاً أمرٌ يدعو إلى الحيرة كسابقه.

مدن تحت الحصار والاحتلال:

نوى ودرعاً ما تزالان تحت الحصار الكامل لليوم الثامن والعشرين، وجاسم وإنخل ونمر والحارة وطفس وداعل والحراك تعاني من شبه حصار واقتحام لقوات الجيش والأمن منذ أسبوع أو أسبوعين، وأكثر سكان هذه المدن والبلدات يعيشون بلا صلاة جمعة منذ أسبوعين. مضايا محاصرة تماماً والزيداني ودوماً في حالة شبه حصار منذ أسبوعين، ومعرة النعمان والضمير وعدراً وكناكر في حالة شبه حصار منذ أيام، وياناس وجبلة في حالة احتلال ومنع تجول منذ أسبوعين، وتلكلخ في حالة حرب وحصار واقتحام ودمار منذ أسبوع.

في ختام استعراض أحداث جمعة الغضب (آزادي) من المناسب القول إن ذلك الزخم الهائل الذي رأيناه فيها جاء نتيجة طبيعية لحشد كبير قامت به مواقع وصفحات الثورة طوال الأسبوع، ولا شك أن اختيار الاسم كان حركة ذكية ساهمت في رفع درجة المشاركة الكردية (وهي مشاركة فاعلة ومشهود لها منذ بداية الانتفاضة)، وقد تراكم ذلك الزخم خلال الأيام السابقة وصولاً إلى الانفجار الكبير يوم الجمعة. لا أعلم إن كنتم قد رصدتم أحداث الأسبوع، لكن يمكنني أن أخصّها منذ يوم الأحد إلى الخميس على النحو التالي:

الأحد: خرجت مظاهرات في دمشق (الزاهرة والقابون وداريا)، وفي حلب (سيف الدولة)، وفي حمص وحمّة ومعرة النعمان والرستن وجسر الشغور وسرمين وخان شيخون وجرجناز وكفررومة وكفرنبل واللاذقية ودير الزور.

الاثنين: في ريف دمشق (حرستا وسقبا، وكانت مظاهرة سقبا حاشدة جداً قدرت بعشرة آلاف)، وحلب (المدينة الجامعية)، وحمص (مظاهرة نسائية واحدة ومظاهرات شبابية في بابا عمرو والوعر والخالدية ودير بعلبة) وتلبيسة وتيرمعلة، وفي حوران (داعل والمسيفرة وصيدا والجية والطيبة والمعتية، بالإضافة إلى اعتصام في الحراك ضم بعض القرى المجاورة)، وفي حماة والرستن ومعرة النعمان وكفرنبل وكفرنورة وحاس وبسقا وبلوكهال.

الثلاثاء: في دمشق (المزرعة وركن الدين والقابون)، وريف دمشق (دوما وحرستا وداريا والزبداني وكناك، وفي جديدة عطروز خرجت مظاهرتان، في أول الليل وبعد منتصف)، وفي حلب (صلاح الدين والصاخور وسيف الدولة وحربيتان ومساكن هنانو، ومظاهرة ضخمة ضمت عدة آلاف في المدينة الجامعية)، وفي حمص والحلولة وتلدو والقصير وحماة وطيبة الإمام وكفرنبوة، وفي الرستن (بآلاف) وسربين، وفي اللاذقية وبنياس وعين العرب ودير الزور، وفي حوران: درعا (مظاهرة صغيرة) وطفس وبصرى الشام وبصرى الحرير وأم ولد، واعتصام كبير في داعل.

الأربعاء: في دمشق (سوق ساروجة وعرنوس والميدان والزاهرة والمعضمية وبزرة والقابون والمعضمية والقدم وداريا)، وفي حلب (صلاح الدين وسيف الدولة والشيخ مقصود والأشرفية والمدينة الجامعية)، وفي حمص والحلولة وتلدو وكفرنبل، وفي حماة وإدلب وجبل الزاوية ومعرة النعمان والرستن والقامشلي وعين العرب والرقة ودير الزور، وفي حوران: درعا وداعل والمسيفرة ومعرجا وبصرى الشام وبصرى الحرير. وأضررت يوم الأربعاء حمص وحماة وجسر الشغور ومعرة النعمان وكفرنبل وكفرنورة وحاس ودير الزور والقامشلي وعفرين والزبداني ودوما وداريا وكناك.

الخميس: مظاهرات في دمشق: الميدان وعين الكرش (قرب ساحة المرجة) والمعضمية (مظاهرة نسائية) والقابون (مظاهرة نسائية وأخرى شبابية) والسبعينية زينب. وفي حمص وحماة ومعرة النعمان والرستن وإدلب وكفرنبل وكفرنبل ودير الزور والقورية والقامشلي والرقة وتدمر وعدد من قرى حوران.

وشهد الأسبوع منذ بدأته اقتحاماً لعدة مدن في حوران: جاسم وإنخل ونمر والحارّة، واستمر الحصار على درعا ونوى، وحُوصرت الحراك وكناك والضمير وعدرا ومعرة النعمان، واستمرت المحنّة القاسية في تلكلخ طول الأسبوع.

ما سبق هو الوصف الكمي للانتفاضة، أما من حيث وصفها النوعي فقد أظهر المتظاهرون مزيداً من الشجاعة والإقدام ومزيداً من الثبات والإصرار، وفي الوقت نفسه أرأتنا النظام مزيداً من الإصرار على العنف والتشبيث بأسلوب القمع والتروع، وكان كل واحد من الطرفين يقول آخر: لا تراجع ولا تنازل ولا استسلام.

أما الحل السياسي الذي لوح به النظام ودعوه الكاذبة إلى الحوار فقد صارا في ذمة التاريخ. ومن الملاحظ أن النظام ما زال ملتزماً بخطته الأمنية لكنه لم يرتفع عن سقف العنف الذي وضعه لنفسه منذ اليوم الأول، وسأتحدث عن ذلك في رسالة القاعدة -بإذن الله-.

المصدر: الزلزال السوري

المصادر: